

الولاء في الإسلام مأهو؟ ولئن يكون

فيلم

مكتور

قوله أحمد الطاهر رحمه الله

مدروس بقسم العقيدة

تمديد

لقد أكل الله - عروجل - دينه ، وأنتم رسالته بالنبي الخاتم
سيدنا محمد - ﷺ - وبما أنزل عليه من قرآن وسنة ، فلا هي بعده ،
وبالتالي لارسالة ولا وحى ، فيه - ﷺ - كل الدين ، ووضع المنهج ،
يقول تعالى : « اليوم أكمل لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً » (١) ، وأن هذا ضراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله » (٢) ، ويقول سبحانه - مخاطباً النبي - ﷺ -
ومن آمن معه ، واتبع دينه : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا
إنه بما تعملون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم
من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون » (٣) .

والمستمع لآيات الذكر الحكيم يرى أن الله — عز وجل — قد حصر
الجهة التي يجب على المسلمين أن يرأعوها ويتجهوا إليها بولايتهم وذلك في
قوله تعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا » (١) ، وبين النهاية
الخصومة التي يتصلح بها من يخلصون ولا هم لله ورسوله وللمؤمنين ، وذلك
في قوله جل شانه : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِوْبَ
اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » (٢) .

- (١) سورة المائدة من الآية رقم ٤
- (٢) سورة الأنعام من الآية رقم ١٥٣
- (٣) سورة هود الايتان رقم ١١٢ - ١١٣
- (٤) سورة المائدة من الآية رقم ٥٥
- (٥) سورة المائدة الآية رقم ٥٦

والمسلمون الأوائل - رضوان الله عليهم - فهموا هذا الترجمة للإله ، لحققوا من خلاله دولة إسلامية ، نشأ أبنائها على أساس من معانيه ، فأصبحوا حارب الله الغالب ، لكن مع مرور الزمن أدرك أعداء الإسلام ، سر هذا النصر ، وفهموا حقيقة ، فعملوا بكل طاقاتهم الفكرية لتفريق الكيان الإسلامي ، وتوهين ولائه لله ودينه ، وقد نجحوا في هذا ، فالمسلمون الآن ينتشرون في أكثر من سبعين دولة إلا أن بعضهم قد لا يعرف عن البعض شيئاً ، ومع كل هذا فلا بأس فإن الخلاص معروف ، وهو أن يستجيب المسلمون لنصيحة ربهم الممثلة في قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ، واثقوا بربكم ، فاستعينوا بقوته ، فستنصرون » ، ولا هم المطلق ، ويمكنوا شرعه بينهم ، ومن لا يفعل ذلك فليس من الله في شيء .

التعريف بالولاية

جاء في المعجم الوجيز :

(الموالاة) فيها أن يعاهد شخص شخصاً آخر ، (المولى) : الرب ، وكل من ولي أمراً أو قام به ، والسيد ، والعبد ، والتابع ، والمنعم ، والمنعم عليه ، والقريب من المحبة كالعلم ، وابن العم ونحو ذلك ، (المولوي) : المنسوب إلى المولى ، والراهد ، أو العالم الكبير ، (الولاء) : القرابة ، والنصرة ، والمحبة ، (الولاية) : القرابة (الولاية) : القرابة ، والخطبة ، والإمامية ، والسيادة ، والولاية التي ينسب عليها الوالي ، (المولود) : كل من ولي أمراً أو قام به ، والنصر ، والحب ، والصديق ، والمطيع ، يقال : المؤمن ولي الله ، والجمع (أولياء) .

(١) سورة المائدة من الآية ٥٥

(ولى العهد) : من تولى إليه وراثته الملك ، (ولى المرأة) : من يلى عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح من دونه ، (ولى اليتيم) : الذى يلى أمره ويقوم بكفانيته .

(وفى الاقتصاد السياسى) : من يتحمل عداوة الإحتياج ، فله القتم وعليه القرم ، والجمع : (أولياء) (١) .

تحديد المراد من التعريف :

عما سبق يعلم القاص معنى الكلمة وتفرعها ... لكن إذا تجاوزنا ذلك إلى أصل اللفظ وأساسه ، نجد أنه لا يخرج عن معنى النصرة ، والراية ، والحببة بين طرفين ، يظهر هذا ويثبت ما جاء فى القرآن الكريم وذلك فى مثل قوله تعالى :

- « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » (٢) .
- « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » (٣) .
- « ومن لا يحب ذاهى الله فليس يحسن فى الأرض وليس له من دونه أولياء » (٤) .

- (١) الملهم الوحيد — مجمع القصة العربية فى القاهرة مادة (ولى) ص ٦٨٢
- (٢) سورة البقرة من الآية رقم ٢٥٧
- (٣) سورة النساء من الآية رقم ٨٩
- (٤) سورة الاحقاف من الآية رقم ٢٢

- « ولكل جعلنا موالى ^(١) بما ترك الوالدان والأقربون » ^(٢) .
- « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » ^(٣) .
- « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ^(٤) .
- « وإن خفت الموالى من ورثتي وكانت امرأتى حائرا... الآية » ^(٥) .
- قال ابن كثير : قال مجاهد وقناده والسدى أراد بالموالى العصبية ^(٦) .
- « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمردة » ^(٧) .
- فإن هذه الآيات ينصص لنا عليها بعض معاني الولاء من النصرة والمحبة والقرب ، وعلى ضوء هذا المعنى سيكون بحث هذا عن معنى الولاء .

الولاء (جعل جلاله)

الولاء لله تعالى يكون بإسلام الوجه له سبحانه ، بحيث توجه إليه .
بحال مفاخر الإنسان وجوارحه ، وخلجات نفسه ، وكل ما يملك ، اقتداء
بمن نزل عليه ، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

(١) قال ابن كثير عن ابن عباس : أى عصبية ، والعرب تسمى ابن العم
مولى ١٥ ص ٤٩٠

(٢) سورة النساء من الآية رقم ٢٣

(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٤٠

(٤) سورة الأنفال من الآية رقم ٧٢

(٥) سورة مريم الآية رقم ٥

(٦) تفسير ابن كثير ٣ ص ١٣

(٧) سورة المتحنة من الآية رقم ١

لا شريك له . (١) ومن قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . (٢)
ومن قال إله فيه : ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك
بالعروة الوثقى . (٣)

هذا الولاء لله — عز وجل — لا يكون قولاً باللسان فقط ، بل
بشاركة العمل ويشتمل في الانقياد التام لشريعته — سبحانه — وتنفيذ
ما جاء فيها ، والذود عنها ، والمقاتلة من أجلها ، إنه تنفيذ لشريع الله —
عز وجل — وفلو تصادم هذا الولاء مع الأهل والعشيرة ، فيجب أن
ينحاز المؤمن لله — عز وجل — ولرسوله ، فله الاتجاه الأول والولاية
الأولى ، وهذا واضح من خطاب الله — تعالى — للمؤمنين في قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ، إن استحبوا
الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون » ، قل إن كان
آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم أزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتوها
وجهاد في سبيله فربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم
الضالين ، (٤) ، ومنى هذا هو إظهار حق الله تعالى ، بحيث تكون لله
سبحانه الوجهة الأساسية ، فإذا تعارضت شيء مع هذا الاتجاه انسلخ منه
المسلم ، وتسامى عليه ، ووجه وجهه لله رب العالمين .

من ثمرات هذا الولاء :

هذا الشعور إذا سيطر على المسلم وبذلك جوارحه فإن عليه كل شيء .

(١) سورة الأنعام من الآية رقم ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٢١

(٣) سورة لقمان من الآية رقم ٣٢

(٤) سورة التوبة الآية رقم ٢٣ ، ٢٤

ورخص أمامه الغالي والنفيس ، وأصبحت الدنيا لا تساوى عنده مثقال حبة من خردل ، واكتفى بأفقه رب العالمين حالته . وعالق كل شيء .

وليس معنى هذا ترك الدنيا . وعدم الاستمتاع بما فيها ، فإن هذا يرفضه الإسلام ولا يقره ، يقول الله تعالى : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، (١) .

مظاهر الولاء لله — عز وجل — :

مظاهر الولاء لله تعالى كثيرة متعددة أهمها ما يلي :

١ — الإيمان بالله تعالى إلهاً واحداً عليهما حكماً عالفاً قادراً ، متصفاً بكل كمال منزهاً عن كل نقص ، ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير (٢) ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (٣) ، ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه . إلا يعلمها ولا حجة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليفضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (٤) ، والتمرن عليه سبحانه لا يكون إلا من خلال أسمائه وصفاته ، والتفكير في عظيم مخلوقاته ، يقول تعالى : ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو . عالق كل شيء . فاصبروه وهو على كل شيء .

(١) سورة الأعراف من الآية رقم ٣٢

(٢) سورة الشورى من الآية رقم ١١

(٣) سورة الأنبياء من الآية رقم ٢٢

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٥٩ ، ٦٠

٧

(٢٢ — حولة)

واكمل ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (١) ،
 « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى
 الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت
 عابد كبر (٢) » ، « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض
 بعد موتها وكذلك تخرجون » ، « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم
 بشر تنثرون » ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
 إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، « ومن
 آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك
 لآيات للعالمين » ، « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاكم من فضله إن في
 ذلك لآيات لقوم يسمعون » ، « ومن آياته يرثكم البرق خوفا وطمعا وينزل
 من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » ،
 « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض
 إذا أنتم تخرجون (٣) » ، « وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ -
 قال : « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل
 الجنة (٤) » ، « قال المناوي : أي من طلبها وتدبر معانيها وأطلع على حقائقها ،
 أو من أطافها أي أطاف بالقيام بحقها ، والعمل بمقتضاها ، بأن تأمل معانيها
 واستعمل نفسه فيها يتأهلها (٥) » .
 كذلك يشمل الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بما هو غيب (الدين
 المحضون بالغيب) (٦) ، من ملائكة الله - تعالى - ، وكتبه ورسوله ،

- (١) سورة الأنعام الايتان ١٠٢ - ١٠٣ .
- (٢) سورة النازية الايات رقم ١٧ - ٢١ .
- (٣) سورة الروم الايات رقم ١٩ - ٢٥ .
- (٤) صحيح مسلم ٨ ج ٨ ص ٦٣ .
- (٥) انظر الحاشي على صحيح مسلم ٨ ج ٨ ص ٦٣ ط دار التحرير -
 القاهرة .
- (٦) سورة البقرة من الآية رقم ٢ .

واليوم الآخر - بما فيه - والقدر بخيره وشره ، حلوه ومره ، وآمن
الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير^(١) ، وفي الحديث حينما سئل النبي - ﷺ - عن
الإيمان قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن
باليوم الآخر^(٢) » ، وفي رواية أخرى زاد : « وتؤمن بالقدر كله^(٣) » .
والذي لا شك فيه أن الذي يخسر هذا الإيمان يخسر وجوده في هذه
الحياة وما بعد هذه الحياة ، وبذلك يكون قد خسر كل شيء .

٢ - إظهار الطاعة لله - عز وجل - والمشاركة بإعلان العبودية :
وظيفة الإنسان في هذه الحياة وعمله الذي وجد له ، والغاية التي خلق
من أجلها هي العبادة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده ، ومن قصر
فيها فقد انتكس وأبطل غاية وجوده ، وأصبحت حياته جوفاء لا قصد
فيها ولا غاية ، قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون^(٤) » .
والعبادة في الإسلام لها مدلول أوسع من مجرد إقامة الشعائر المعروفة
كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، فهي كما يقول الإمام ابن تيمية :
العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة
والباطنة^(٥) ، وعلى ذلك فهي تشمل في أمرين رئيسيين :

الأول : استغراق معنى العبودية - لله - عز وجل - في النفس .

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٥ .

(٢) رواه أبو هريرة عن حديث طويل صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣١ رواه أبو هريرة عن حديث طويل .

(٤) سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ .

(٥) الفتاوى - ابن تيمية - ج ١ ص ٢٦١ .

وذلك بأن يعلم بأن هناك عبداً يقيد ، ورأياً يقيد ، والشكل بالنسبة له سبحانه عبيد .

الثاني : التوجه إليه سبحانه بكل حركة ، ومراعات ذلك بأن يقوم بحفظ العقل ، والقلب والجوارح من مخالفة مراد الله - عز وجل - والتوجه بها إليه - سبحانه - والتجرد من كل شيء يخرج الإنسان من إطار العبودية الخاصة لله - عز وجل - .

بهذا وغيره يتحقق معنى العبادة ، وتصبح كل حركة من الإنسان في هذا السكون عبادة كالصلاة وغيرها ، وذلك كتعلم المهن والعلوم للخدمة التي ترفع بالامة الإسلامية حتى تكون خير أمة ، ففي طلب هذا وتعلمه عبادة لله - تعالى - ومنفعة خاصة للإنسان ذاته ، ففي الحديث القدسي : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً (١) .

٣ - الاستسلام المطلق لله - عز وجل - والتوجه إليه بالكلية : من الولاء لله - عز وجل - الاستسلام الكامل له سبحانه ، وذلك بأن يتوجه العبد بكل ما يملك من نفس وجوارحه لله - عز وجل - حتى يستقيم مع الكون الذي أتى طائفاً به - عز وجل - ، بذلك يصدر

(١) من حديث أبي ندر جندب بن جناده . روى عنه - عن -

النبي - ﷺ - فيما يروى عن الله تبارك وتعالى ، رواه مسلم ، وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا . انظر رياض الصالحين - النووي - ص ٨٣ .

الراحة والاعطاشان ، ويطلق في هذه الحياة مرتكبا إلى سلطان الله —
عن وجل — الذي لا يقهر ولا يقب ، متوكلا عليه . بادلا جوده ومطابقه
في خدمه دينه ، ونعمه ، ومجتمعه ، واتقا بأنه لا يخذل له أحدا ، قال تعالى :
« ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء
قدرا » (١) ، وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله —
ﷺ — كان يقول : « اللهم لك أسنت ، وبك آمنت ، وبك أعتك ، وبك
توكلت ، وإليك أمنت ، ولك خاصمت ، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا
أنت أنت تملئ ، أنت الخى الذى لا تموت ، والجن والإنس يموتون » (٢) ،
وعن أم حبيبة روى لى — ﷺ — قالت : اللهم امتنع بزوجي
رسول الله — ﷺ — وبأى أى عيبان وأحس معاريه ، فقال لى .
ﷺ — قد سألت الله لكجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق
مقسومة لن يسجل شيئا من هذه ، أو يؤخر شيئا عن هذه ، ولو كنت
سألت الله أن يعيدك من عذاب فى النار ، أو عذاب فى القبر كان خيرا
وأفضل » (٣) ، على هذا المعنى صار معنا الصالح . رضوان الله عليهم .
فى هذه الحياه الدنيا ، والدفعوا نحو حصول المعاد فى السم وأخرب على
سواء فى عزيمه وإصرار وقدره وإقتدار . ولسان عالم يصدق ربنا
عبيك نركبا وإليك أتب وإليك لمصير » (٤) ، فأيدم الله نصره ،
وصاروا قادة للأمم ، وأسوة صادقة من بعدهم

٤ - الاعتصام بالصبر في جميع الأمور والمواظبة

إذا كان الأنبياء أشد الناس هلاكا، وعلى قدر الإيمان يكون الابتلاء، كما أخبر الصادق عليه السلام، فإن الأمر على ذلك يظهر الولاء، فـ

(١) سورة العنلق من الآية رقم ٣.

(٢) صحیح مسلم ٨٦ ص ٨٠ . (٣) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٤) سورة المحتج من الآية رقم ٤ .

تعالى ، ومن أس — رضى الله عنه — قال قال رسول الله ﷺ —
 إن عظم الجلاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ،
 فمن رضى الله الرضا ، ومن سخط الله السخط ^(١) ، ومن هذا يؤخذ بأن
 الرضا والصبر في الاسلام له ألون ، كما أن له مقتنيات ، صبر على طاعة
 الله وتعمل مشاقها من عمل وجهاد ، ودعوة ، واجتهاد ... إلخ ، وصبر
 على السوء والبأس ، وفل من يصبر على النعمة فلا يبطر ولا يكفر ،
 وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم وهي تصيق الصدور وصبر ، وصبر
 وصبر كله أبعاء وجه الله — عز وجل — وولاء له ، والذين صبروا
 انتقام وجه ربهم ^(٢) لا يخرج من أن يقول الناس جزعوا ، ولا تحملا
 ليقول الناس صبروا ، ولا رجاء مع من وراء الصبر ، ولا دعة يأتي به
 الخروج ، ولا هدف واحد غير أبعاء وجه الله — سبحانه — وولاء
 له ، إنه التمسك بقوله الله — تعالى — في تحطته للنبي ﷺ فاصبر كما
 أرسلوا النور من أرسل ولا تستعجل بهم ^(٣) ، واصبر على ما يقولون ^(٤) .

إليه الرجاء في الله ، والتمسك بالله والاعتقاد على الله ، ولابد لأمة تنشط
 بها القوام على البشرية ، والعدل في الأرض والصلاح ، أن تبدأ بشاقه
 الطريق ، ورحلتها بالصبر والبأس والصبر ، وحين الشدة ، والصبرين
 في البأس والصبر ، وحين البأس ^(٥) الصبر في اليأس والغفر ، والصبر

(١) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، الطبري رياض
 الصالحين ص ٤٢

(٢) سورة الرعد من الآية رقم ٢٢

(٣) سورة الاحقاف من الآية رقم ٣٥

(٤) سورة المؤمن من الآية رقم ١٠

(٥) سورة البقرة من الآية رقم ١٧٧

في المرض والضعف ، والصبر في العلة والنقص ، والصبر في الجهد والحصار والصبر على كل حال كي يهبط بواجبه ، فمن الخب من الأثر —
 رضي الله عنه — قال : شكوا إلى رسول الله — ﷺ — وهو منوم بردة في ظل الكعبة ، فمنا ألا تمتنصر لنا ، ألا تدعو لنا ، فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فحمر له في الأرض فيجعل بها ، ثم يؤتى المشد ، فيوضع على رأسه فيجعل فصبين ، ويمشط بأشواط الحديد مادون عنقه وعظمه ، ما يصبه ذلك من دمه ، والله ليس الله عند الأمر حتى يسير الراكب من ضغاء إلى ضغراء ، لا يخاف ولا الله والداب عن عمنه ولذكم يستعجلون ،^(١٠) ، وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال : كأي أظرف رسول الله — ﷺ — يحكي نبيا من الأنبياء حلوت لله وسلامه عليه ضربة قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول ، اللهم عمر لعومي الإهم لا يسون^(١١) ، وعن أبي يحيى حميد بن عثمان — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : أحب لكم المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته شكره شكره ، وإن أصابته ضره صبره ، فكان خيرا له^(١٢) .

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال قال رسول الله — ﷺ —
 ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة^(١٣) .

- (١) رواه البخاري ، وأبو داود ، والنسائي . انظر رياض الصالحين — النووي ج ٢
- (٢) متفق عليه — المصدر السابق ج ١
- (٣) رواه مسلم — المصدر السابق ج ٢
- (٤) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح

• — مراقبة الله تعالى وحقيقته :

عن ولا المبدقة — عن وجن — عنه بأنه — سبحانه — مطلع عليه يعلم حائنة الأعين وما تخفي الصدور ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وهو معه أينما كان ، يقول سبحانه : يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، (١) ، « إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » (٢) « الذي يراك حين تقدم ، ونفذك في الساجدين » (٣) « وهو معكم أينما كنتم » (٤) .

هذا يصير العبد في رقابة أمة لا يظفر إلى محمد الناس له ، أو شاقم عليه ، فهذا كله صبيح زائل لا قيمة له إلا في ديار الناس ، الذين حصل سميم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ذلك أنهم وكفوا في جوارحها ، وصاروا كالذهب المسحورة ، مراعى الخلق ناسين الخالق ، عقيبين على الخطام الزائل ، فاقدين الايثار ، والتطلع إلى عائد الله — تعالى — .

فقدت لديهم المراقبة ، وغاب عنهم الصور ، وأساس ذلك معلوم وهو حسارة الشيطان وركبته ، فآلبسهم لباس القوة الزائفة ، ووضعت لهم من شأن أوليائه ، فأوقع في قلوبهم أنهم ذو حول وطول ، وأنهم يملكون النفع والضرر ، وذلك لتحقن من خلالهم الشر والفساد في

(١) سورة طه الآية رقم ١٩

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ٥

(٣) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٨ ، ٢١٩

(٤) سورة الحديد من الآية رقم ٤

الأرض وإنا دلكم الشيطان يحرف أوليائه فلا تقوهم وعافون إن كنتم مؤمنين» (١).

والإسلام لا يرضى هذه الأمانة بل يماثلهم بالله أولاداً خيراً ، لأن قدر الله هو الذي يصرّف كل شيء ، وكل أحد ، وكل حادث ، وكل حالة ، والمؤمن من شأنه أن ينتهي مع هذه الله إلى حيث ينتهي وهو واحد صريح ، وإدراكك هذا المعنى في قلب المسلم ملائمة يندأ وإيمانه لا يخشى الناس ، ولا يلتفت إلى باطنهم ، بل يرى قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فاقبلوا بنعمة من الله وفصل لم يمسسهم سوء وأبجوا رضوان الله عليهم (٢).

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا زاد لعهده يصيب به من يشاء من عبده وهو العفو الرحيم» (٣) .

عده هي أهم مظاهر الولاء لله — هو وجل — ، وبها يتعلق القلب بالله — هو وجل — وحده ، والإقامة إليه في كل وقت وحين ، والإخلاص له في السر والعلان ، والصدق في القول والفعل ، والتوبة والاستعداد بمارل به القدم ، والرضا بقدرة وقدره ، وتعلق الجوارح بأوامره ، والبتديها عن نواهيه إلخ .

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٥

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٧٣ ، ١٧٤

(٣) سورة يونس الآية رقم ١٠٧

الولاء للرسول ﷺ :

والولاء للرسول الله ﷺ — لا يكون إلا بالأدعان التيهم لكل ما يوصيه عز ربه — جل وعلا — وبالحكمة عليه الصلاة والسلام في أمره كله ، ثم يوصي راحباً بحكمه مسلماً لتوجيهه ، لديه الاقتراح التام ، وبذلك يتم إيمان العبد قال تعالى : وما كان يؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون هم الخيرة من أمرهم ^(١) .

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ^(٢) .

وفي هذا توجيه عام للأمم الإسلامية ، بأن يهتفوا بما قضى به رسول الله ﷺ — (فالعبرة بهجوم اللفظ لا بمحصر من السبب) ، ومعنى تحكم رسول الله ﷺ — هو تحكمهم شريعته ، ومهجته ، لأنحكمهم شخصه كما رعم المرتدون الذين قاتلهم الصديق — رضي الله عنه — ، يبين هذا المفهوم ويجهله هذا الموقف الرابع أئداً على فهم صحابة رسول الله ﷺ — معنى الولاء والطاعة للرسول ﷺ — .





ذلك أنه — بعض مشركو مكة العبد الذي بينهم وبين المسلمين ، يافزتهم عن قبيلة حواجة حبيبهم رسول الله ﷺ — وقدم عمرو ابن سام يستجد برسول الله ﷺ — حرم الرسول عن فتح مكة وصور المشركين ، وأدركت قريش أنها أخطأت ، وارتكبت حما ، صارت إلى إرسال أبي سفيان لعله يصلح في تهدئة الخواطر ، وإيقافه الحسرب .




(١) سورة الأحزاب من الآية رقم ٣٦

(٢) سورة النساء الآية رقم ٦٥

وقدم أبو سفيان إلى أبيه وقصد ابنه أم حبيب زوج رسول الله

—  —

فلما دخل عليها كان فرأى رسول الله —  — مسوطاً ، فلما
تقدم ليحس عليه طوقه . فقال لها يا بنية : أريعتي عن هذا
القميص ، أم رعتي به عي ؟ ومالت له أبداً : بن هو فرأى رسول الله
—  — ، وأنت رجس مشرك بحس ، ولا أحب أن تجلس على
فرأى رسول الله —  — ، قال : والله لقد أصدك يا ابنتي عدي
شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله —  — ، فسكاه فلم يرد عليه شيئاً ،
فكلم أبا بكر ، وعمر ، فلم يستجب به أحد ، ^(١) .

هذا هو أبو سفيان قائد مكة ، وشيخ بني الجاهلية . . . تنأى عنه
أخته وأجدته فرأى رسول الله —  — لأن ولادها ليس إلا لله
ولرسوله ، مع ما هو معروف من أن عرف عرف المرأة سريعة التأثر ، وأنها
عادة ما تصفب أمام علائق الأبوة والبنوة ، ولكن الإيمان صعب من
صعاب رسول الله —  — وأروجه وأبناؤه ، موسماً جديدة ،
استميت على العواطف الإنسانية ، والبرعات البشرية ، حتى أصبحت تؤثر
السمية لله ولرسوله —  — على ما تمك من مال وأولاد حتى حس
الإنسان التي بين حمية .

من مظاهر الولاء للرسول

من دلائل الولاء للرسول —  — زيادة صلى ما قدم
ما على :

(١) انظر سيرة النبي —  — ابن هشام — ٢٣ من ٢٦٦

١ - حب النبي - ﷺ -

حب رسول الله - ﷺ - متصل بحب الله - جلا جلاله - لا يفصل عنه ، يقول تعالى : **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** (١) ، ولم لا ؟ وقد اصطفاه الله وعبده وحمله غائماً للنبين ، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ومن سوء الجاهل وظلامه إلى نور العلم وحياته ، وهذا واضح من خلال حرصه - ﷺ - على أمته ، وتمسكه بإخراجهم من الكفر إلى الإيمان ، فقد كانت تصل به هذه الحالة أخصاها ، إلى درجة يقول له فيها الوحي : **« يَا مُحَمَّدُ لَا يَكُونُوا مُؤْمِرِينَ بِكَ ، فَمَنْ يَكُونُ مُؤْمِرِينَ بِكَ ، يَكُونُ مُؤْمِرِينَ بِكَ »** (٢) ، **« يَا مُحَمَّدُ لَا يَكُونُوا مُؤْمِرِينَ بِكَ ، فَمَنْ يَكُونُ مُؤْمِرِينَ بِكَ ، يَكُونُ مُؤْمِرِينَ بِكَ »** (٣) ، يعني أتهلك نفسك يا محمد أمدا على المصراف فومك عن الإيمان ، وقد استمر - ﷺ - في جهاده وحرصه هذا ، يحيى المذوب ، ويوقظ الصائم ، ويدل على طريق الله - عز وجل - الموصل إلى رضوانه ، حتى آخر نفس في حياته - ﷺ - ومات ودرعه مرفوعة عدي ردى .

أفلا يستحق هذا النبي الكريم ، الحب والولاء من أمته ، إن هذا أقل شيء ، ولا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا قدّم حب رسول الله - ﷺ - على أمه ووالده وولده والناس أجمعين **« مَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّنَا »** قال . قال رسول الله - ﷺ - **« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »** (٤) ، وعنه أيضاً عن النبي - ﷺ -

(١) سورة القرآن من الآية رقم ٣١

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢

(٣) سورة الكهف الآية رقم ٦

(٤) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٩

قال: وثلاث من كن فيه وجد بها حياة لإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أهداه الله منه كما يكره أن يهدف في البارد^(١)، لقد بلغ هذا المص مداه في صحابة رسول الله — ﷺ — .

هذه أجوبة حياً تم تعرف له المص البشرية نظيراً، بها هو أس إله انتصر عم أفس بن مالك لما سمع يوم أحد قتل رسول الله — ﷺ — قال: ما تصممون بالحياة بعده، موأوا عن مآلات عبده رسول الله — ﷺ — ثم استعير القوم وقال سعد بن معاذ هذه أجب ورب الكعبة أجد ربيها دون أحد، وقال حتى قتل، ووجدته له أسماً وثمانين جرحاً ما بين حربه بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، هكذا بلغ حب الصحابة للنبي — ﷺ — .

ومعنى هذا كما يقول القاضي عياض — رضى الله عنه — أعلم أن من أحب شيئاً أكثره وآثر مرافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان عدياً^(٢)، فص ثوبان مولى رسول الله — ﷺ — أنه كان شديد الحب لرسول الله — ﷺ — قبل الصبر عنه، فأماه يوماً وقد تغير لونه وبخل جسمه، وهرب الخزن في وجهه، فسأله رسول الله — ﷺ — عن حاله، فقال: يا رسول الله ما لي وجع غير أني إذا لم أراك اشتقتك، وتستوحشت وحشة عظيمة حتى أهلك، ذكرت الأحرة بحيث لا أراك هناك، لأنني إن دخلت الجنة طأمت بمكون في درجات البقيع، وإن أنا لم أدخل الجنة لم أجد لك أبداً، هزلت هذه الآية: ومن يطع الله والرسول عاونك مع الذين أسلم الله

(١) المصدر السابق ص ٤٨

(٢) مختصر شعب الإيمان — البيهقي ص ٢٨

عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والعلماء ، ^(١) قال الشيخ
البيهقي — رحمه الله — : وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب
الرسول ومن بعدهم ، ^(٢) .

والحب الصادق له دلائل وإمارات ظهر على المحب ، وذلك من
اقتداء به — ﷺ — . وسهال صنته ، واتساع أهواله وأعماله ، وامتنان
أوامره ، واجتناب أوامره ، والنأب بأدابه ، والتخلق بأخلاقه الشريفة
والإلمام بكنهه ، فلا محبة بدون طاعة والزام

٢ — تعظيم النبي — ﷺ — وتوقيره .

من مظاهر الولاء لرسول الله — ﷺ — تعظيمه وتوقيره يقول تعالى :
« فآذنين أمّره به وهجره ونصروه واسموا له النور الذي أزل معه أولئك
هم المفلحون » ، ^(٣) « لنؤمنوا بالله ورسوله ونحزبه وتقرّوه » ، ^(٤) ،
والتميز بها : التوقير بلا حلال ^(٥) ، ويقول سبحانه : « لا تعجلوا دعاء
الرسول يدرككم قضاء بعضكم بعضاً » ، ^(٦) أي لا تقولوا يا محمد ، أي القاصم ،
بل قولوا يا رسول الله ، يا بني الله ، ويقول أيضاً : « يا أيها الذين آمنوا

-
- (١) الآثار الحميدة من المودع القديسة — البيهقي — ص ٣٩٢ ،
والآية بن سورة النساء رقم ٩٩
(٢) المحدث بن — نفس الصفحة
(٣) سورة الأعراف من الآية رقم ١٥٧
(٤) سورة الفتح من الآية ٩
(٥) المعجم الوجيز — مجمع اللغة العربية للقاهرة — ص ١٦٦
(٦) سورة النور من الآية رقم ٦٣

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالعصاة كجهر
بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تعلمون ،^(١)
هذه امثلة — منزلة التوفيق والتعظيم — نمو منزلة الحب ، إذ ليس
كل حب معظما .

قال النبي وهذه امثلة أي منزلة التوفيق والتعظيم فوق منزلة المحبة ،
إذ ليس كل حب معظما كحبة الأب بولده ، واليد لخدمة من غير تعظيم
بخلاف العكس ،^(٢) هذا الترفيع والتعظيم بكون لرسول الله ﷺ —
في حياته وبعد وفاته

٣ — التصديق بكل ما أخبر به النبي ﷺ

ومن مظاهر الولاء للرسول — ﷺ — أيضاً ، تصديق العبد بكل
ما أخبر به الرسول — ﷺ — من ربه ، وصح عنه — ﷺ — ،
ولا يخفى له أن يسكر حديث لم يصل إليه عليه أو خالف عقله وهواه ،
ذلك أنه من رحمة الله — عن وجه — بهذه الأمة أن عصمها من الإضرار
بالمعصية بنيات أصلية الكتاب والسنة .

أما الكتاب فقد تكفل الله بحفظه حيث قال سبحانه ، [ما نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون]^(٣) .

أما السنة فقد جند الله لها رجالا حفظوها من التحريف ، وأراحوا
صب كبد العالمين الخطاين ، ورسوا الصحيح من غيره ، وأنعموا في تدوينها
مصحفا لا يزل مضروب الأمثال والدقة والتحرى الثابت ، وكانوا لا يشكون

(١) سورة الحجرات الآية رقم ٢

(٢) مختصر شعب الإيمان البيهقي ص ٣٢

(٣) سورة الحجرات الآية رقم ٦

قولا حق يعلموا أصله ومصدره ، وهذا أشد خط الأسرار الذي تعرضت به هذه الأمة عن غير ما الأمر الذي يجعلنا نأخذ عن هؤلاء الأطباء بثقة ويقين لكل ما دونه وأثبتوه لرسول الله ﷺ وإلى يدونها لا يهمل القرآن الكريم ، ولا تستبين معالم الدين وحدهوه .

وهو ذلك من مظاهر الولاء لرسول الله ﷺ في الإسلام كثير وذلك كنصر دينه بالقول ، والعمل ، والدين عن شريعته ، وكثرة ذكره ﷺ ، وكثرة الشوق إلى ثباته ، وحسب القرآن الذي أتى به ، وهدي به وأهتدى به ، وتحقق به ، ومحنة سنته ، وقراءة حديثه . إلخ .

الولاء للإسلام

إن مما يؤسف له أن تمار اليهود في كل مناسبة وعلى ألسنة زعمائها ، وفي وسائل الإعلام - المفروضة والمسموعة - أن تحارب من أجل التوراة وأرض الميعاد ، كذلك المسيحية تعسب أنها تتحرك لنصرة مبادئ المسيح ، والشيوعية تدعى أنها تحارب من أجل تعاليم ماركس ... إلخ . على حين أننا قد نلاحظ من ينادي من زعماء الإسلام أنهم يحاربون من أجل الإسلام والقرآن ... إلخ من محرم الله .

ويزعم المسلم بالله سبحانه وتعالى ، وبكتبه ورسوله ، وأبصاره تحبب العقيدة الإسلامية يعرف من فيه أن يعيش هذا الدين ، وأن يعيش به ، ويموت به ، وأن يحسن خدمته من طاعة بادية هذا الدين ، ومما له . وإن كان الاستعمار قد أفلح في إخماد نخوة بين المسلم وبين دينه ومستقبله ، وجعل الانتماء للدين والولاء له أمراً رجعياً ، ونحسوا في اتحاد جيل ينتمي للإسلام ويعمل في تحقيق هذه النكبة الباطلة ، فيه قد أتى الأوان من بدء حركة إحياء مجادة لإيقاظ ولا هذه الأمة نحو دينها ومعقدتها ، كي تستعيد مكانتها ، ويستحق هذا القاء في الأرض وحده .

الله يد يقول : « وليصرون الله من يسره إن الله لهوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض لنقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفيه عاقبة الأمور » (١) .

فالتسك بالدين ولولاء له حجة هذه الآله ورسالتها ، ومعايشها ومعادها وإختيار الله لها ، فهو شرف لها فيها وحاضرها ومستقبلها . ولقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » (٢) « ورنه لذكر لكم ولقومك وموحد تسألون » (٣) .

[مظاهر الولاء للإسلام] :

١ — الاتجاه العقائدي للإسلام لا يكون إلا بصريق العمل المحرك والعسكري صفيحة وشريعة ومبدأ جا :

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يرى أن الله — عز وجل — قد حاسب المؤمنين على الدون دون العمل ، وسنسكر ذلك منهم ومقتهم حين خاطبهم بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، ليرمقنا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » (١) ، ويقول له : أتأمرون الناس بالبر وتنصون أنفسكم وأنتم تنون النكث أنفلا تفعلون » (٢) ، وسبح ذكركم به المثل المظهر وب لبيان حال اليوم د — وصيرهم — حولنا لنزل فيهم شرح الله

(١) سورة الحج من الآيتين رقم ٤١ ، ٤٢

(٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٠

(٣) سورة الرعد الآية رقم ٤٤

(٤) سورة الصف الآيتان رقم ٣٠ ، ٣١

(٥) سورة البقرة الآية رقم ٤٤

وكذبوا ، فأعرضوا عن العمل بمقتضى ما جاءهم به ، فقال سبحانه :
« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ينسحق
العموم الذين كذبوا بأيات الله ، والله لا يهدي العموم الظالمين ، قل يا أيها
الذين هادوا ، عظم أنتم أولاد الله من دون الناس فتمسوا بالموت ، إن كنتم
صديقين ، ولئن كنتموه أبدأ بى قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (١) .

أول مظاهر انحراف الناس عن الحق لأنهم لا يتبعون الكتاب ، قولا وفعلًا ، ولا يعمل
بالحق ولا بدوي ، يعيق عمن شرب هذا الدين ، والإلزام به عبيده ،
وهادة ، ومفسدة ، وسوكة ، بذلك يكون المؤمن كشجرة طيبة كما قال
الله — سبحانه — أصلها ثابت وفرعها في السماء ، إن هذا الاتجاه يضم
أهل الهدى والنجدة ، ليطردوا عن العقائد والمهرجات ، وليس الإيمان
بالتقوى كما قال الصادق المعصوم — عليه السلام — لكنه ما وفر في القلب وحده
الحسن ، وإن قوما عزتهم لأنما حق خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ،
وقالوا بحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

٢ — الاختلاف بالسلام في كل حال ، ولأن اعتقاد أن العز والشرف
في الانتساب إليه :

أجل لهذا أمرنا الله — تعالى — بالسلام ، وبالإسلام وحده يكون
طلب العز ، ومن طلب العز في غيره أدله الله — تعالى — ، ويعبد لذلك حال
العرب قبل الإسلام ، وحالم بعده جاء الإسلام مرفوع أقدارهم ، وأعزهم
في العالمين ، وسوى بين عبيدهم وفقيرهم ، وجعلهم خير أمة أخرجت
للعالمين ، لا يصل فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا
لم يأت إلا من خلال التمسك بما جاء به الوحي المعصوم ، « فاستمسكك »

٢٧ بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ، وإياه لذكرتك ولقومك وسوف تسألون ، (١٣) ، فلو تمسكنا - نحن - وجميعا شئنا تحت هذا المفهوم ، فالتمسكنا قوى الشر مهما بلغت من القوة والعدوان ، ولنتأمل ما قاله النبي - ﷺ - : .. إن وفي قال يا محمد إن إذا قصت قصا فإنه لا يرد ، وإن أبغيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وإن لا أهلكهم عدوا من سوى أنفسهم يسيبهم يهتكم ، ولو اجتمع عليهم من أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ، ويسبي بعضهم ، هذا (١٤) .

واغرائهم النصية والداخلية في الأمة من أسطر ما يحدد كيانها ، ويرقى شملها ، ويجمعها متناثرة بملك بعضها بعضا ، والإسلام هو الشيء الوحيد الذي يجمع الشمل ويحقق ميراث العبدية ويصير القلوب ، ويجمعها على كلمة سواء ، إنه الذي يصنع المهاجرين والأنصار ، وجعل منهم المجتمع الذي لا يشرد ، الذي لا نظير له ولا مثيل في المجتمعات الإنسانية جماعه ، وهو الذي يصنع مهاجرين وأنصاراً جديداً ، وذلك إذا اتخذته الأمة الإسلامية دستوراً لحياتها ، وسدت به في العمل والجماعات ، وأعزت الولاء له نصرة وبأيديها .

بذلك يكون الإسلام سما على مسمى ، أما من اتخذ شعاراً دون من جاد مثله مثل من يقوله : الدين رب يحبه ، وهو من قال الله فيه : واتل عليهم ما الذي أنبأهم آياته فالسمع منها فأتبعه الشيطان ، فكان من الفاروقين ، ولو شئنا لرصاصاً بها ولكنه أسلك إلى الأرض وانبع هواه فله كمثل الكلب إن حصل عليه يلهث أو تركه يلهث ذلك مثل القوم الذين

(١) سورة الزحرف الآيتان رقم ٣٣ ، ٣٤

(٢) صحيح مسلم ٨٠٣ - ١٧٩٩ من حديث طویل رواه توبان من

الذي - ﷺ -

كذبوا ، آياتنا فقصص القصص لعلمهم يتفكرون ، ^(١) ، إنه لاكرامة
للإنسان إلا من جلال الأثر بالدين ، ولاعتقاد الجارم بأن الدين
والشرع في الاتياف إليه ، والعمل القامب لتحقيق ذلك

٣ - الجهاد من أجل إعلان كلمته بالعكر والبيان ، والدين ، والماله
بوجه الإسلام - الآن - تحديات معاصرة ، اختل من حلالها الفرد
والجماعة ، وشوه الحق حتى لا يرى ، ورين الناطل حتى كاد أن يظن
حما ، وهذا منحه ألباح الشاربات ، أربعه ، والمسليات ، المفروضة ، التي
تهد من حلالها سلع الإنسان من ديه ، وعادته الأصلية التي حين عساه
من حلاله ، وحسن الدين له ، ومرص عديه وهو في قعر ينش ، تشويها
لمعالم الإسلام .

وعلى المسلمين - الأب - مواجهة هذه التحديات بأجدد في
سيله وإعلان كلمته والتمس في مصدرى عب الدين يرى أن جهاد بالعكر
يكون بالعطاء الديني ، والعمل ، والتضحية على لكل من عدم هذا
الدين وقضايا ، والجهاد بالبيان يكون بإفائه حجة والبرهان على الأعداء
ودعوتهم إلى الله ، ويكون هذا الدين وشرح تعاليمه وأحكامه ،
ورفع الشبه ولا ناطل واجهد ، الدين يكون بدن النفس والتضحية من
أجله ، وفي سيله ، ولقد هم ب صحاب النبي ﷺ مثل في التضحية والعناء
في سيله ، والجهاد بالماله يكون ، الإلحاق في سيله من طيب نفس ، ورضا
ساطر سواء أكان للضراء ، والمباكيب ، أو دها للعاشرين ، أو هؤلاء
على النفس والأهل . قال تعالى : ^(٢) وأمقوا من ما رزقناكم من قبل أن
يأت أحدكم الموت فيقول لو لا أخرتني إلى أجل مرتبأ صدق وأكن من
الصابرين ، ولن يقر الله بما إذا جاءه أجهلأ بوائقه يخير بما يعملون ^(٣)

(١) سورة الاحزاب الآيات ٧٥ ، ٧٦

(٢) سورة المنافقون آيات ١٦ ، ١٧

٤ — دعوة الناس إليه والتعاون مع العاملين من أجله .

من شواهد الولاء للإسلام التعريف به ، والدعوة إليه بين المسلمين
وقير المسلمين ، وهذا لا يأتي إلا من طريق العلم وطلبه ، فإذا ساد العلم
وجد الإيمان طريقه إلى القلوب لأن العلم يهدي إلى الإيمان ، ولذلك كانت
دعوة الرسول — ﷺ — للعلم حادة .

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال ، سمعت رسول الله ﷺ
يقول : الدنيا معرصة ملعون ما بها إلا ذكر لله تعالى وما والاه وعالمها
ومتلأ . (١٠) .

وعن سهل بن سعد — رضي الله عنه — أن النبي — ﷺ — قال
لنبي — رضي الله عنه — هو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير
لك من جمع السم (١١) .

ومن سلال هذا يكون التعاون مع كل العاملين له في إصلاح وود
وتجاوز عن الصفات ، وانفاس الأعداء ، فليست ووحدة الجماعة يتناول
عن كثير ، قال تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الآثم والعدوان ، (١٢) .

واعنه : مو ، يحمل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمه الله عليكم
إذا كنتم أعداء . فألف بين قلوبكم وأصبحتم بنعمته إخواناً ، (١٣) .

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن انظر رياض الصالحين —

للصوري — ص ٩١٤

(٢) منقح عليه ، انظر رياض الصالحين ص ٩١٣

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ٢

(٤) سورة العنكبوت من الآية رقم ٣٠

إن الولاء للإسلام حق على الأمة عامة ، وعلى العاملين له خاصة ، إنه حق متعين على الجميع يتحقق من خلال الالتزام له ، والاعتزاز به ، والجهاد من أجله ، والدعوة إليه ، والتمس مع العاملين من أجله ، وتحري مصلحته دائماً ، وربط الحياة به والموت في سبيله ، والجهاد لأخيه ، والسرور لصلوة .

الولاء للسلطان :

الولاء للسلطان يكون نتيجة الولاء لله - عز وجل - ورسوله الكريم ، ولدينه القويم ، وإطلاقاً من هذا يكون ولاء المسلم للمسلمين ، والولاء للمسلمين يكون بالحرص على كل ما يهم للمسلمين وهدمهم ويحلب كل خير لهم ، ويدفع كل ما يهدم عدوهم من معاند ، ويوقوف معهم في صفوهم حسب الطاقة والإمكان ، يهضمهم في ذلك ولا هم لديهم الذي قطع صهم أسباب الصفاء والخلاف ، وجهم صفاً واحداً كالبيان المرصص ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضائه بالسهر والحمى ، وقد تحقق هذا المعنى واجتمع الإسلامى الأول حين دخل فيه النابسى والشامى والعندى والمصرى والمغربى ، وسائر الأقاليم والأجناس ، فلم يكن لديهم الخيرة إلا الله ورسوله ، ولم تكن كذلك ولايتهم إلا الله ورسوله ، ورسوله يقول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تعبدوا عدوى وعدوكم أولياءاً ^(١) .

وإن هذا النداء نرى أن لا تنحصر يكون من أى علاقة إلا علاقة الإيمان

(١) سورة الممتحنة من الآية رقم ١

«الله» والولاء للدين الله وحده ، ومن آمن به هو المحرف أو العاية المشوذة
ولذلك ترى أن الله — عز وجل — قال في نفس هذه السورة : «لن
ننعمكم أرحمكم ولا أولادكم يوم القيمة بفعل بيسكم والله يمتحنون
بصير»^(١)

أي من تمنعكم قراءاتكم عند الله إذا أراد بكم سوءاً ، ونفع هؤلاء
لا يصل إليكم إذا أرحمهم عما يستحق الله به ، وافق أهله على الكفر
ليرصيهم بعد محاب وحسن ولا يمتحن عند الله قراءته من أحد ولو كان
قريباً منك أي من الأنبياء ،^(٢)

والذي يجب الإشارة إليه هنا أنه لا يكتفي في معنى الولاء للمسلمين
الانتماء إلى هذه الأمة بعد بيعة الرباة العقدي والإيماني ، ولكن
الولاء مرحلة تسمى على ذلك ، إنه تلاحم وتناصر وأخوة ، وهذا
يتطلب سمات وأعضاء ، لأن الولاء لها معنى الارتباط العصري كارتباط
أعضاء الجسم تماماً ، بحيث يكون الجزء في خدمة الكل ، والكل في خدمة
الجزء ، وتفديب مصلحة المجموع على مصلحة الفرد ، وإلا تحصل معنى
الولاء إلى شكل بلا مضمون ، هذا ما تفيد هذه الآيات السكرية ، وإن
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين
«أبوا» وبصرو أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا
مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استصرركم في الدين فعليكم
بالعصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله يمتحنون بصير ، والذين

(١) سورة الممتحنة الآية رقم ٣

(٢) تفسير ابن كثير ١٥ ص ٢٤٦ .

كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تعلموه تكون قشة في الأرض ومهاد كبير ، والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين نافوا وتحصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم منفعة وورث كريم ، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك معكم أولوا الأرض هم يمتصهم أولى بعض في كتاب الله من الله بكل شيء عليم ،^(١) .

وموطن الاستشهاد في موضوعه ، الذين آمنوا وهم يهاجروا^(٢) ، فأقاموا في بلادهم ولم يهجموا للمسلمين بالندية — وذلك عندما كانت الهجرة واجبة — فالولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبينهم منية ، مادام أنهم لم يهجموا إلى مجتمع المؤمنين بالهجرة ، لكن تبقى رابطة العقيدة والدين ، بحيث لهم ، إذا اعتدى عليهم في الدين وجب عليكم بها المسلمون نصرهم على شرط ألا يحل ذلك عهد من اليهود المبرمة بين المسلمين وأعدائهم (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد وثيلاء يجب الوفاء بعدهم ، لأن الإسلام لا يذبح بقص اليهود والمواثيق . وهذا يعطيت مدى أهمية الولاية والتلاحم العصري بين المسلمين ، ومدى لوفاء بالعهود والمواثيق بينهم وبين غيرهم .

(١) سورة التوبة الآيات رقم ٧٢ - ٧٥

(٢) كان المؤمنون في عصر النبي — ﷺ — أربعة أصناف :

أ - المهاجرون الأولون أصحاب الهجرة الأولى .

ب - الأنصار .

ج - الذين لم يهاجروا .

د - الذين هاجروا بعد صلح الحديبية .

مظاهر الولاء بين المسلمين

١ - الأخوة والتناصر :

الأخوة ، الأساس الأول الذي ، يعتمد عليه النبي - ﷺ - في بناء المجتمع الإسلامي الأول ، ومن خلاله صارت الأمة المؤمنة أمة واحدة ، إنما المؤمنون أخوة ، (١) .

وحفظاً عن هذه الأخوة أظهر الإسلام المؤمنين أشياء ، تتناقى مع الأخوة الصادقة ، فقال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا لا يضر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، (٢) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : لا تخاسنوا ولا تاجفوا ، ولا تناقضوا ولا تدابروا ولا يبع ببيعكم من يبيع بعضكم ، وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويقتر إلى صدقه ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، (٣) .

والأخوة في الإسلام تفرض التناصر بين أبنائه ، وشد كل منهم لمصلحة أخيه فإذا رأى المسلم إهانة أو إساءة تزئت بأخيه المسلم ، فلا يتركه يكتأفج وحده ، بل يجب عليه الشجدة والنصرة له حتى في حال هيبته ، وهو يظهر الغيب .

(١) سورة الحجرات من الآية وقم ، ٤

(٢) سورة الحجرات من الآية وهم ١١

(٣) صحيح مسلم ٨ : ١٤٠ ، ١٤١

وما يقال في التناصر والتأييد بالنسبة للأفراد ، يقال على مستوى الأمة كلها ، فالمشعوب الإسلامية يجب أن تطلق من مبدأ قول الرسول الكريم ﷺ ومن أصبح لاسمهم بأمر المسلمين فليس منهم^(١) .

هذا ولا يخفى عليه بأن الأخوة الصادقة تعين على طاعة الله — عز وجل — كما أنها تكافل نفسى ومادى واجتماعى ، واحساس بحاجات الغير من المسلمين ، كما أنها أسس ومحبة وسكينة وعبرة ووفاء .

٢ - الإيثار :

من مظاهر ولاء المسلم لأخيه الإيثار ومعناه كما قال القرطبي : هو تقديم الغير على النفس وحفظها والتسوية رغبة في الحفظ والدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة والصبر على المشقة^(٢) . وصمة الإيثار من الصفات التي قام عليها المجتمع الإسلامى الأول ، وانتصر من خلالها وكانت له العزة والمنصبة ، يؤثر على أنفسهم ولو كان هم شخصاً^(٣) . وإدراكنا لذلك مثلاً ارى في معركة اليرموك أنه لموقع صكرمة وأصحابه في أرض المعركة من الجراح ، واستسقوا لحي . بما مما قرب إلى أحدهم سمع رجلاً يحاوره قائلاً : فأشار يدها إلى صاحبه وهو جريح منقر أخرج ما يكون إلى ماء ، فلما ذهب إلى الثانى سمع ثالثاً يردد آه آه فأشار يده إلى ثالث ، فلما وصل إلى الثالث ، وجده قد مات ، فعد إلى الثانى فوجده قد مات ، فرجع إلى الأول فوجده قد مات وماتوا جميعاً ولم يتره أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم^(٤) .

(١) رواه الحاكم وصححه ، وخالفه الذهبي

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٨ ص ٢٦

(٣) سورة الحشر من الآية رقم ٩

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩ بتصرف

ألا ترى أن هذه الصورة صارت غريبة جداً الآن في حياة المسلمين ؟ إن هناك مظاهر أخرى من الولاء للمسلمين وذلك كالتعاون ، والتآلف والتضامن ، والاتحاد ، وهذه المظاهر وسائل تعميقها وذلك كأحياء مظاهر الأخوة الإسلامية التي بهتت ، وتذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من الحب والعطف والمودة والقرب ، وتصويرهم بمخاطر التيارات الفكرية المعاصرة ، ليسعوا معهم لعودة الشريعة الإسلامية إلى منصة الحكم ، ومقام الريادة في بلاد المسلمين ، ففي ظلها يظهر كل خير ويختفي كل شر .

حكم مولاة أعداء الله

كي يكتمل مفهوم الولاء في الإسلام ، يجب أن أشير هنا إلى هذا الموضوع وهو : حكم مولاة أعداء الله . إننا نسمع الآن من يردد قائلاً : إن الدول الأوروبية المسيحية دول كبرى متقدمة ، وظروف المعاصرة تقتضي بالضرورة التعاون ، والتعامل معهم ، فيما يعود على البلاد بالمصلحة ونحوه فنساج إليهم في بعض الأحيان ، ولذلك لابد وأن نتخذ لنا يداً عندنا في السراء تنتفع بها إذا أصابنا ضرر ، والأيام دول .

والحق أن هذا نوم مردود ، وهو امتداد الخط السلوكي الذي ابتدأه عبد الله بن أبي سلول عندما اعتذر عن مسارحته واجتهاده في الولاء لليهود والاستمساك بحلفه معهم ، وقال : لا نرى وجل أخشى الدوائر . يعني أخشى تقلبات الزمن ، فقد تدور علينا الدوائر ، وأن تنزل بنا شدة ، وهذا الخط يظهره الله تعالى فيقول : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسهرون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة »^(١) وهذا دليل على عدم إيمانهم بصر الله ، وإظهار دينه ، كما أنه دليل على ضعف الإيمان وعدم الثقة في الله

(١) سورة المائدة من الآية ٥٢

— فقال — وهذا دأب المناققين في كل زمان ، وظاهرو الواقع المشاهد
يؤيد ذلك ، فقد تجرّب المسلمون الاستغاثة بالشرق أو بالغرب ، ولم يجدوا
من ذلك شيئاً ، فبقى عليهم بعد ذلك أن يجربوا الاستغاثة بالله — عز
وجل — وسوف يجدونه نصيراً ومغيثاً ، وليتصرّن الله من ينصره إن الله
القوى العزيز (١)

لنلك يرى الحق — جل وعلا — همد هؤلاء الذين يرتدون عن دينه
بالولاء لأهل الكتاب ويتصرون بهم ، إن فعلوا ذلك ، فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه ، يتولونه وعده ويتصرون به : يقول تعالى : يا أيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
أفدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ، إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ،
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حرب الله هم الغالبون (٢) ، فما أروع
هذه الحقيقة القرآنية وذلك في حالة الاختيار والقوة ، أما في حالة الخوف
والضعف فقد رخص الله ذلك بقدر المداواة التي يمكن بها شرهم بقول سبحانه
: لا يفتخ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن جعل ذلك
قلوب من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة (٣)

ويشرط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة كما هو مقبوم ، يقول
ابن كثير : « إلا أن تتقوا منهم تقاة ، أي إلا من تخاف في بعض البلدان
والأوقات من شرهم فله أن يتخبرهم بظاهرة لا يباطنه ويثبته ، كما قال البخاري

(١) سورة الحج من الآية ٤٠

(٢) سورة المائدة الآيات رقم ٥٤ - ٥٦

(٣) سورة آل عمران من الآية ٢٨

عن أبي المرداء أنه قال: إنما النهش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم . وقال الثوري: قال ابن عباس ليس التقية بالعمل ، التقية باللسان (١) . أما ما وردنا ذلك فغير مسموح له حتى في الأقرباء ، حيث قال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون (٢) .

هذا فيما يتعلق بالولاء الذي بمعنى التناصر : أما فيما يتعلق بالتعامل وإقامة العلاقات وحسن الجوار ، فهذا لا يمنع الإسلام ، والسلام ما وردنا بالسماحة ، وحسن المعاملة مع أهل الكتاب ومع غيرهم يقول سبحانه : وإن أحد من المشركين استعدارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٣) ، ويقول أيضا : ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٤) . ويقول : وطمعوا الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم من أجورهم محصين غير مسالطين ولا متخذين أصدقاء (٥) .

والخلاصة:

أن موالاة غير المسلمين إما أن تكون بمعنى المسالمة وحسن ، الجوار ، والمعاملة الطيبة وتبادل المنفعة فهذا مما دأب إليه الإسلام . وإما أن تكون بمعنى المتاعرة والمخالفة والرضا بما هم فيه من كفر .

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٨

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٢٢

(٣) سورة التوبة من الآية ٦

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨

(٥) سورة المائدة من الآية ٥

فهذا يدفعه الإسلام ويمنعه، إلا أن حال الخوف من أذاهم، فيجوز ذلك
ظاهراً دون ميل قلبى، لأن يتمكن المسلمون من إعادة قواهم كي يدفعوا
هذا التقهر، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة^(١)

قال الله — ذا الجلال والإكرام — بأن لا يجعل للكافرين على
المؤمنين سبيلاً

هذا وبالله التوفيق